اشراقات رابعة

شاكر لعيبي

- ١ -

المدينة نامت ، وعمالها الساهرون على المطبعه
هجعوا في كتاب دقيق الحروف ، سوى رابعه
خرجت في الدروب ، وكانت مبللة
وتحمل في راحتيها الصباح برفق خجول
وكانت تجوب بغير هدى
ثم يتبعها هدهد لا ينام
ويتبعها الورد والنافذه
ويطاردها الحالمون
المدينة نامت وتجارها الرابحون ، سوى رابعه
تتحفى على العشب ، تركض في نفسها
تتبهل للارض ، ثم ترى ثديها نائما في الغصون
ترى في الغيوم وعولا تفرّ اليها
وفي الصخر لبلابة تتمرى عليها
وكانت تفتح ما يتفتح في جسمها
فتفرّ اليه الفراشة ،
يأتي اليه القرنفل ، تنفلق الحبة الذهبية فيه
ورابعة تستجمّ ، المدينة مقفلة ، والمساء كئيب
غير ان الهواء يرافقها ، والهموم تفارقها
الحديقة نامت تتنفس في دعة
والطيور تحدق في رابعه
انها عقدت ثوبها بدلال
نفضت شعرها بسخاء
واحتفت بطفولتها الغائبه
انها انتفضت في الظلام الحزين ودارت
وكانت تحاصرها ليلة رائعه .

- ٢ -

المدينة تنهض ، تسعى على عجل للفطور، سوى رابعه
تشرب الشاي في كسل لا يليق بها
تحتذي صندلا أحمرا
تطعم السنديانة ماء قراحا
تمر على قفص اقفلته على بلبل سيحدق فيها بغير حياء
تنظف اسنانها بسواك سيعلق في شفتيها
وتطلق اثداءها لحظة للهواء العليل ،
المدينة تلهث في الماكنه
تتلوى بباعتها
والى السوق تخرج رابعه
تشتري ما تشتريه الكواعب
تغمز العابر الناحلا
وتدير رقاب الفضول اليها
وتتبعها الشرفات
ويتبعها الطير والحسرات
سوى انها سترد اغنية
عن حبيب مضاع وباخرة من ورق
وستحكي لجارتها عن فتاها الصغير
وعن زهرة مسّها فاحترق

- ٣ -

من نشوتها تخرج رابعة
تنفض عن جفنيها الحلما
في نشوتها تهمس رابعة
(لا تطعنّي بالوردة ، لا ترميني بين حجار الياقوت)
معها تنتفض الاشجار ولا تملك شهقتها
(لا تطعنّي بالوردة ، لا تتركني بين وريقات التوت)
ورابعة تزهر
تتدحرج كالماسة فوق شراشفها
وتحاصرها القبلة

تجري في دمها الموجة
فيها البحر وليس لديه أنوثتها
والعريانة رابعة في وحدتها مثل التفاحة تجلس
وتحسّ بآثار فم يلثمها في الرقبة
هل في البيت سوى قطّ يتخفى ، والعتمه

- ٤ -

ورابع تلقي على كتفيها خمارا من الياسمين
تجيء من الريف للحاضره
تغطي بساتينها بيديها
على حنكها وشم أخضر
وتغني على سكة ليس فيها سواها من الآدميين
ورابع قارورة للطيوب
وأثوابها يورق الزهر فيها وتحبو الغصون
ورابع تدخل للحاضره
يرى حارس الخان خلخالها فيرنق
يسمعه الجالسون على العتبه
فيحفون كوكبة حولها
تمد الشبابيك آذانها ، الشرفات أفاريزها
ويجيء اللصوص اليتامى
تجيء النباتات للكرنفال الجميل
هنا جلست رابعه
سحرت عاشقيها
فرنّ السكون ، ورن الصدى

- ٥ -

هي جاءت من الافق مملوءة بالنشيد
ومرت على المدرسه
ثم غنّت بها
واستدارت الى الحقل ، أغفت به ساعة
ثم كانت تحيط الزنابق في وجهها
هي انهمرت في القرى المطمئنه
وفي يدها مشعل كي ينير الخطى
في يديها زهور لكي يفرح العاشقون بها
أتت بحذاء عتيق
وصرّتها من قماش عتيق
أيقظت جدولا تحت خطوتها
وسرّت بها زهرات المضيق

- ٦ -

ورابع مفتونة بالفتى
كان يشرب قهوته بمحبتها
ويمر عليها ، يحدق فيها بغير كلام
وتسمع صورته في المساء
تشمّ خطاه البطيئة ، تقرأ أفكاره في الحصى
كان مكتنزا بالهدوء ، ويمسك بالعاصفه
ويراها على هيئة الارجوانة
يسمعها في هواء الطريق
ورابع مفتونة بالفتى
كان قد نام في المطبعه
فوق جرح خفيف
كان قد رنّ في أذنها كالجرس
استحى من يديها المضاءة في شعره
ثم قبّلها في اللجين البديع
وقد ملأت كفّه نرجسا
واليه رمت بنظارتها
فمضى كصبيّ بهيج ...

- ٧ -

ورابعة أبدا لا تشيخ
الخيول القوية شاخت
المدينة شاخت ، حوانيتها انطفأت
شاخ باعتها ، وحدائقها غمرت بالخريف
كل شيء سواها عجوز
وكل فتاة سواها تشيخ
هي الآن مغمورة بالفتوة
جالسة بالندى ، تتموج كالسنبله
ويشاهدها السابله
متوجسة بالرغيف

بغداد